فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

هي من قولك عزّ الشيء إذا اشتدّ وكذلك تعزّز واستعز ومنه العزاز من الأرض وهو الصلب الذي لا يبلغ أن يكون حجارة ويقال : عزّ يعز إذا صار عزيزاً وعزّ يعزّ عزاً إذا غلب قال زهير : .

(تَمِيمٌ فَلَوْنَاهُ فَأُكْمِلَ خَلْقُهُ ... فَتَمّ وَعَزّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهْ) .

ومعنى الكلام : إذا صلب أخوك واشتدّ فذلّ له من الذلّ بالكسر ولا معنى للذلّ هنا كما تقول : إذا صعب عليك أخوك فَلِنْ له .

قال ا D : (وَعِبَادُ الرّحْمنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلى الأَرَض هَوْناً) الفرقان : 63 أي على سكون وطمأنينة .

وقال ابن درستويه في تفسير المعنى الذي ذهب إليه أبو عبيد : معنى (إذا عزّ أخُوكَ فَهُنْ) إذا صار عزيزاً ملكاً قوياً عليك فأطِعْه وتذلل له واخضع تسلم عليه ولا يظلمك بعزه .

والحجة لهذا المذهب قول عمرو بن أحمر : .

(وَقَارِعَةٍ مِنَ الأيّامِ لَولا ... سَبِيلهُمُ لَزَاحَتْ عَنْكَ حِينا) .

(دَبَيتَ لَها الضَراءَ وَقُلْتَ أَبْقَى ... إِذا عَزّ ابْنُ عَمّكَ أَنْ تَهُونَا) .

هكذا صحّت رواية هذا البيت دون اختلاف بين الرواة : وقال محمد بن علي الباقر في المعنى الذي ذهب إليه ابن درستويه : .

(بُنَيّ إِذا مَا سَامَكَ الذّلّ قَادِرٌ ... عَزِيزٌ فَلِنْ فَاللّينُ أَوْلى وَأَحْرَزُ) .

(وَلا تَسْمُ في كُلّ الأُمُورِ تَعَزّزاً ... فَقَدْ يُورِثُ الذلّ الطّوِيلَ التّعَزّزِ)